

المَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ

العدد الثالث والعشرون / شوال - ذو الحجة ١٤٢٨ هـ، نوفمبر ٢٠٠٧ م - يناير ٢٠٠٨ م



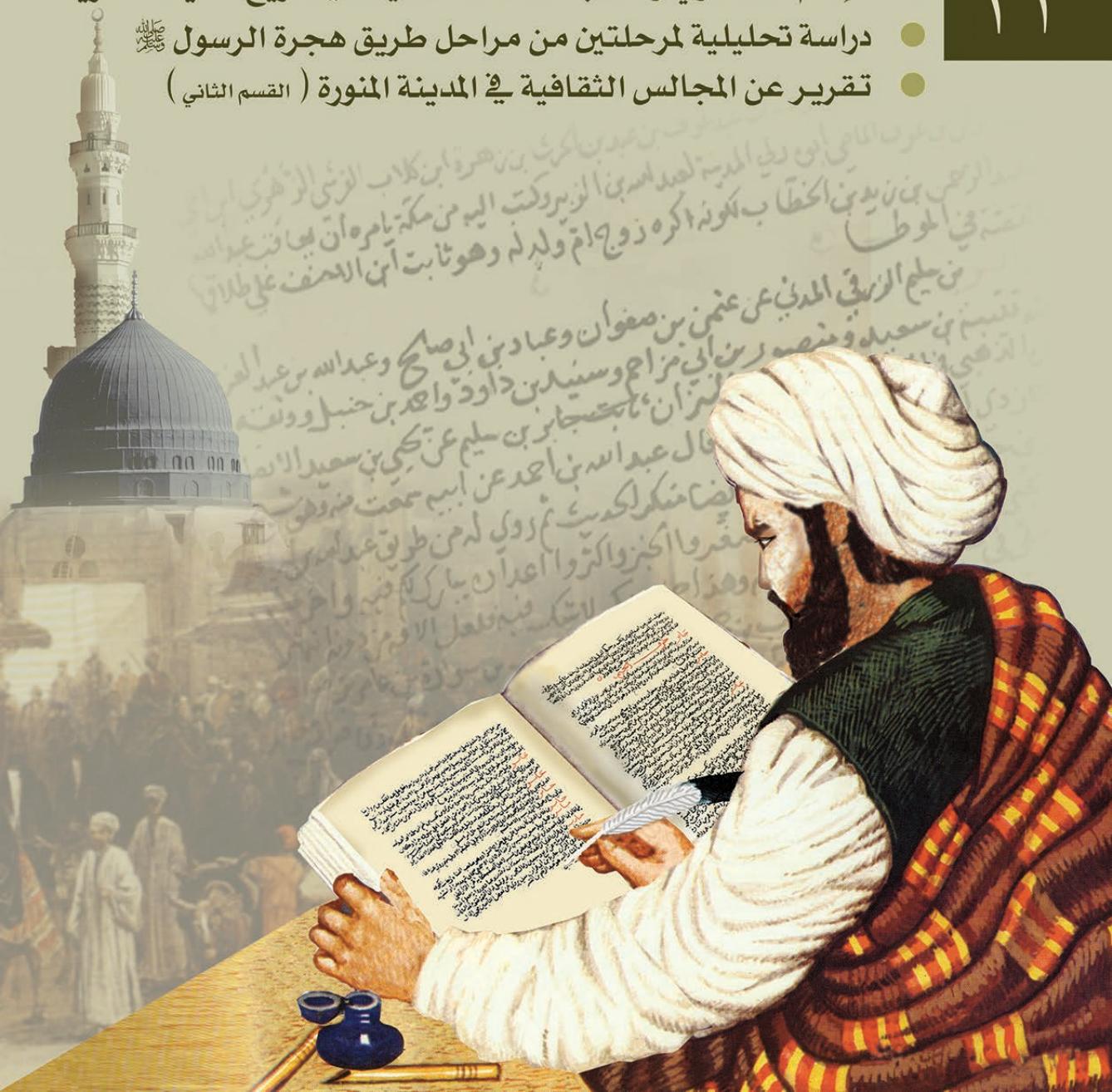
٢٣

مرويات أحداث غزوة الخندق في الصحيحين

الإمام السخاوي وكتابه التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشرفية

دراسة تحليلية لرحلتين من مراحل طريق هجرة الرسول ﷺ

تقرير عن المجالس الثقافية في المدينة المنورة (القسم الثاني)



الإمام السخاوي

وكتابه التحفة الطيبة في تاريخ المدينة الشريفة

التحرير

مقدمة تاريخية

بعد سقوط بغداد بيد التتار (٦٥٦هـ) اتجه كثير من العلماء إلى مصر واستقروا فيها، وكانت مصر آنئذ تحت سلطة المماليك^(١) الذين شجعوا الحركة العلمية وأكرموا العلماء وأنشأوا المدارس؛ فانتعشت الحركة العلمية، وخاصة في مراكزها العريقة كجامع عمرو بن العاص، والجامع الأزهر، وجامع ابن طولون، وعدد من الزوايا^(٢)، والخوانق^(٣)،

(١) المماليك هم الرقيق الذين اعتمد عليهم الحكام الأيوبيون في مصر والشام، في تكوين وقيادة جيوشهم، وكانوا يشترونهم صغاراً من أبناء مناطق القفقاس والقوقاز. (انظر قاسم عبد قاسم، عصر سلاطين المماليك، دار الشروق، ط١، ١٤١٥هـ، ص ١٠٧ ، والقوقاز والقفقاس أماكن في آسيا، بين البحر الأسود وبحر قزوين). وقد تولى بعض المماليك أعلى المناصب في الدولة، واستلموا منصب السلطان لفترة ثلاثة قرون تقريباً. وحكموا مصر منذ سقوط الأيوبيين وحتى عهد الفتح العثماني، وببدأ العهد المملوكي الأول من عام (٦٤٨هـ) وينتهي في (٧٨٤هـ)، ويسمى عهد المماليك البحرينية (وهي دولة المماليك الأولى) ، وتسمى بحرية نسبة إلى مكان نزولهم وهو قلعة جزيرة الروضة في المنيلا وسط النيل، (انظر عبد المنعم ماجد، نظام دول سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، الانجلو مصرية، ط٢، ص ١٠)، بينما يبدأ العهد المملوكي الثاني من (٧٨٤هـ) وحتى (٩٢٣هـ). ويسمى عهد المماليك البرجية نسبة إلى أبراج القلعة التي أنزلتهم بها قلالون، (انظر الخطط المقرizable ٢١٤/٢).

(٢) جمع زاوية، وهي مكان يتخذ أحد الناس، ويقيم فيه للعبادة ونحوها، (انظر الخطط للمقرizable ٤٣٠/٢).

(٣) ويقال بالكاف بدلاً من القاف، وهي جمع خانقاه، فارسية معناها البيت، وهي أماكن جعلت لتصوفية يختلون فيها للعبادة فقط ، (انظر الخطط المقرizable ٤٢٧/٢).

والربط^(١) ، ومنازل الشيوخ^(٢) .

في هذه البيئة ، وفي هذا العصر ، وبالتحديد في عصر الدولة المملوکية الثانية المعروفة باسم الجراكسة^(٣) أو البرجية عاش الإمام السحاوي ، وعاصر في عمره المديد أحد عشر سلطاناً من سلاطين هذه الدولة ، أولهم الأشرف برسباي (٨٢٥ - ٩٠١ هـ) ، وأخرهم الناصر قايتباي (٩٠٤ - ٩٤٦ هـ) ، الذي كان عهده أفضل عهود المماليك لأنّه تميز بنشر العلم والاهتمام به ، وكانت للإمام السحاوي علاقة قوية به ، حيث صنف له عدة مصنفات وقرأ عليه بعضها^(٤) .

ترجمة الإمام السحاوي

العلامة المسند المؤرخ الحافظ محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد ، ويلقب شمس الدين ، ويكنى بأبي الخير وبأبي عبدالله ، وينسب إلى (سخى) قرية في أسفل مصر ، فيقال له السحاوي ، وهي الآن قرية من قرى مركز كفر الشيخ بمديرية الغربية بمصر ، تبعد عن القاهرة (١٧) كلم^(٥) . وقد ينسب إلى بغداد فيقال له (بغدادي) نسبة

(١) جمع رياط ، وهي دور جعلت للصوفية يتجردون فيها للعبادة فقط ، وتجرى عليهم الأرزاق من صاحب الرباط ، انظر الخطط المقربية (٤٢٧/٢).

(٢) قاسم عبده قاسم ، مرجع سابق ، ص ١٠٧.

(٣) نسبة إلى طائفة الجراكس وهم من مناطق القسم الشمالي الغربي من القوقاز ومن السواحل الشرقية للبحر المتوسط ، انظر قيام دولة المماليك الثانية ، لحكيم أمين ، ص ١٢.

(٤) الحافظ السحاوي وجهوده في الحديث وعلومه ، بدر بن محمد بن محسن العماش ، مكتبة ابن رشد بالرياض ، ١٤٢٠ هـ ، ص ١٧.

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٢.

إلى أصله حيث جاء أحد أجداده من بغداد، ويقال له أحياناً (الغزولي) نسبة إلى مهنة (الغزل) وهي مهنة أبيه وجده^(١).

أصل أسرته من بغداد، وهي أسرة علم وصلاح، نزل أسرته أحد أجداده مصر، أما جده لأبيه الشمس أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن محمد السخاوي، الملقب بابن البارد، فقد ولد في (سخى) بمصر، وكان عالماً، حج عدة مرات، وسافر إلى الشام وبيت المقدس. وأما والده عبد الرحمن زين الدين المولود في القاهرة (٨٠٠ هـ) فقد حفظ القرآن وتدرّب على التجويد، وحفظ بعض المتون، وسمع من كثير من العلماء، منهم البلقيني، وابن حجر، وابن جماعة، وجده لأمه شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن بلاط العدوى القاهري المالكي؛ تميز في الفقه والعربية، ومن شيوخه ابن الحاجب، والبساطami، والبرماوي، وحفظ أخوه عبد القادر - محي الدين - القرآن والشاطبية وبعض التبيه، وكذلك حفظ أخوه أبو بكر - ولقبه زين الدين - القرآن والعمدة والمنهاج وألفيتي الحديث وال نحو وغيرها، وتصدى للتدريس في الفقه وأصوله والعربية وأخذ عنه كثير من الطلاب^(٢).

وهكذا يتضح أن الإمام السخاوي سليل أسرة علمية متميزة، فجده لأبيه وجده لأمه كانا عالمين، وكذلك أبوه، وأخوه، حفظوا القرآن

(١) المرجع السابق، ص ٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٤ - ٤٠.

الكريم، وبعض المتون، وعلموا طلاب العلم الفقه وأصوله واللغة العربية وغيرها.

مولده ونشأته
ولد الإمام السخاوي في شهر ربيع الأول سنة إحدى
وثلاثين وثمانمائة، بحارة بهاء الدين قراقوش في القاهرة،
في المنزل الذي ولد فيه والده وعماه.

وللمكانة العلمية لأسرة السخاوي أثر كبير في تشتته، ختم السخاوي
القرآن عند زوج أخته الفقيه الصالح البدر حسين الأزهري، وكان يسكن
في بيت والد الإمام السخاوي، ثم جود القرآن عند الحريري، وحفظ العدة
والألفية لابن مالك والنخبة لابن حجر...^(١).

شيوخه
وصف الإمام السخاوي بكثرة الشيوخ من القاهرة
ونواحيها، بالإضافة إلى رحلاته التي استفاد منها كثيراً،

حتى زاد من أخذ عنهم على ألف ومائتين^(٢). ومن أهمهم:
١ - العز بن الفرات (ت ٨٥١هـ). كان عالماً في الفقه الحنفي، وجمع
كثيراً من فنون العلم.

٢ - ابن خضر (ت ٨٥٢هـ) وهو من تلاميذ ابن حجر.

٣ - الزين السنديسي (ت ٨٥٢هـ) كان متقدماً في العربية، ومدرساً
للحديث في جامع الحاكم.

٤ - الزين رضوان العقبي (ت ٨٥٢هـ) كان متقدماً في التجويد والقراءات.

(١) المرجع السابق، ص ٤١.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٧، نقلأً عن الضوء اللامع (١٠/٨) وإرشاد الغاوي (٢٨ / ب).

- ٥ - عبد السلام البغدادي (ت ٨٨٩هـ): اهتم بالتفسير والقرآن والفقه والنحو والصرف والمنطق.
- ٦ - ابن الديري (ت ٨٦٧هـ): كان شيخاً في المذهب الحنفي.
- ٧ - ابن البلكيني (ت ٨٦٨هـ): كان إماماً فقيهاً عالماً قوي الحافظة فصيحاً مهاباً.
- ٨ - الشرف المناوي (ت ٨٧١هـ): أجداد الفقه والعربية والتفسير، وله مصنفات كثيرة.
- ٩ - التقى الشمني (ت ٨٧٢هـ): كان مهتماً بالفقه والأصول والعقليات والعربية.
- ١٠ - ابن أسد (ت ٨٧٢هـ) له عدة مصنفات كشرح الشاطبية.
- ١١ - ابن إمام الكاملية (ت ٨٧٤هـ): له عدة مصنفات في الفقه والأصول والحديث.
- ١٢ - القاضي أبو البركات الحنفي (ت ٨٧٦هـ): متفقه في المذهب الحنفي، وله مصنفات كثيرة نثراً ونظمًا.
- ١٣ - ابن قطلوبغا قاسم الحنفي (ت ٨٧٩هـ): له تصانيف كثيرة منها في علم الحديث وفيه الفقه.
- ١٤ - الأمين الأنصارائي (ت ٨٨٠هـ): كان متقدماً بالإفتاء.
- ١٥ - ابن الشحنة (ت ٨٩٠هـ): له عدة مصنفات في الفقه، وأصول الفقه، وعلم الحديث.
- ١٦ - الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ): كان بيته بجوار بيت السخاوي فحضر عليه مع والده ، ثم لازمه حتى وفاته وأخذ عنه علماً غزيراً، وقد أشى ابن حجر على تلميذه، وكان من الخمسة الذين طلبهم يستأنس بهم في مرض موتة. وقد خدم السخاوي مؤلفات شيخه ابن حجر،

فكتب بعضها، وببعضها الآخر، وأكمل ماله يكمل، وكتب حواشى على مصنفات شيخه، وجرد بعض حواشى ابن حجر، كما اهتم بجمع فتاویه.

مرويات السخاوي
كان الإمام السخاوي واسع الرواية، تحمل عن شيوخه بكل طرق الرواية، وأخذ عن حوالي ألف ومائتين من شيوخ وأقران، وقد قسم السخاوي مروياته إلى أنواع منها:

- ١- مارتب على الأبواب الفقهية: منها ماتقييد فيه بالصحيح، ومنها ماله يتقييد فيه بالصحة كالسنن.
- ٢- مارتب على المسانيد: وهي مارتب على المعجم كالمختار للضياء، وماله يرتب على المعجم كمسند أحمد وغيره.
- ٣- ما هو على الأوامر والنواهي.
- ٤- ما هو على أطراف الأحاديث ، أي الترتيب الهجائي لأول كلمات الأحاديث ..
- ٥- ما هو في الأحاديث الطوال.
- ٦- ما يقتصر فيه على أربعين حديثاً: ومنها ماتقييد بموضوع مثل الأربعين الإلهية، أو لم يتقييد بموضوع كالأربعين للأجري.
- ٧- ما هو على الشيوخ: مثل شيخ المصنف كالمعجم الأوسط، وشيخ غيره كمسند أبي حنيفة.
- ٨- ما هو على الرواية عن إمام كبير كالرواية عن مالك.
- ٩- ما يقتصر على الأفراد والغرائب كالدارقطني.
- ١٠ - ماله يتقييد فيه بشيء

رحلات السخاوي
الرحلة من الأمور الهامة في طلب العلم، يشرع فيها الطالب بعد أن يأخذ ما في بلده من العلم، والsxاوي لم يرحل إلا بعد أن سمع من شيوخ بلده، بل إنه لم يرحل في حياة شيخه ابن حجر لما يجد عنده من عطاء متدفق مستمر، وكانت أول رحلة له سنة ثلاثة وخمسين وثمانمائة وهي:

١. رحل إلى دمياط وكانت أولى رحلاته، سمع من بعض المسندين، وكتب عن نفر من المتأدبين.

٢. رحل بصحبة والدته لأداء فريضة الحج ، وزار المدينة المنورة، في أوائل جمادى الثانية من سنة ست وخمسين وثمانمائة، ولقي علماء كثيرين منهم: المراغي، والزمزمي، وأبن فهد، والزين الأميسي، والقاضي الشافعى أبا السعادات بن ظهيرة، والحنفى ابن الضياء، والمالكى ابن الزين. وقرأ في المدينة على البدر ابن فرحون المالكى، وأبي الفرج المراغي، ولقي العلامة الكمال بن الهمام.

٣. الرحلة إلى منوف وفيها: دخل مصر، وسمع من القاضي المنوي.

٤. الرحلة السكندرية: أخذ عن جموع من المسندين والشعراء فيها، والقرى التي مربتها كالمنصورة وغيرها.

٥. الرحلة الحلبية: من أهم رحلات السخاوي، التقى فيها كبار المحدثين في حلب وحماة ودمشق وغيرها، ولقي قرابة مائة نفس سمع منهم، ومر على بيت المقدس، وغزة، والخليل ونابلس وغيرها. وزادت البلاد التي دخلها على الثمانين في مصر وببلاد الشام والحجاز....

- ٦ - رحلته الثانية إلى مكة سنة سبعين وثمانمائة، وكانت معه زوجته ووالده وأخوه وأولادهم، ورحل إلى الطائف، مع صاحبه النجم بن فهد، ثم مر في المدينة المنورة في طريقه إلى القاهرة..
- ٧ - رحلته الثالثة إلى مكة سنة خمس وثمانين وثمانمائة، ومعه أمه وعياله، وزار المدينة بعد الحج واستمرت هذه المجاورة إلى سنة سبع وثمانين.
- ٨ - رحلته الرابعة إلى مكة سنة اثنين وتسعين وثمانمائة ومعه أمه وعياله، وأخوه عبد القادر وعيالهما، ولم يتيسر له زيارة المدينة، بسبب موت أخيه في القاهرة فرجع مسرعاً...
- ٩ - رحلته الأخيرة إلى مكة سنة ست وتسعين وثمانمائة، ومعه والدته وأهله، وابن أخيه وأولاده، وماتت والدته في رمضان، وبعد سنة اتجه إلى المدينة وصام فيها رمضان، ثم عاد مكة وهكذا حتى سنة (٩٠١هـ). وبقي في المدينة النبوية حتى توفي فيها...

وفاته
وقع اختلاف بين المؤرخين في مكان وزمان وفاة السخاوي رحمه الله، وأكثر المترجمين على أنه توفي في المدينة المنورة، ودفن بالبقيع بجانب قبر الإمام مالك وعن يساره. وذلك سنة اثنين وتسعمائة، في يوم الأحد الثامن والعشرين من شهر شعبان. والله أعلم.

مؤلفات السخاوي
بدأ السخاوي التأليف في وقت مبكر، قبل الخمسين وثمانمائة، وكان سنه قريباً من التاسعة عشرة. وقرظ له شيخه ابن حجر أول ماكتبه، وكان تخرجاً. وذكر

السخاوي في الضوء الساطع أسماء (١٩٨) تصنيفاً، بينما ذكر في إرشاد الغاوي (٢١٠) مصنفات، وذكر الأستاذ في ذيل طبقات الشافعية: أن مؤلفات السخاوي تبلغ المائتين، أما الذي وفقت عليه فقد بلغت (٢٥٩) مؤلفاً، فلله الحمد والمنة^(١). وقد تنوعت مؤلفاته وشملت كثيراً من العلوم، منها علوم الحديث، وشرحه، والتاريخ، ومنها كتب عن شيوخه ومربياته، ومنها في التاريخ والترجم، والفتاوی والأجوبة.

التحفة
اللطيفة في
تاريخ
المدينة
الشريفة

ومن كتب التاريخ والترجم التي صنفها السخاوي:
التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة. وقد طبع عدة طبعات: الأولى بعنوان أسعد درابزوني الحسني (١٣٧٦هـ) على نفقة الشربلي في مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة، قدم له طه حسين، وترجم للسخاوي محمد فقي. والطبعة الثانية أكمل من الأولى. ثم طبع الكتاب في مجلدين سنة (١٤١٤هـ) بدون محقق، عن دار الكتب العلمية في بيروت^(٢).

جعل السخاوي كتابه التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ترجم لأهل المدينة النبوية ومن قطنها من الغرباء ولو سنة واحدة، من القرن الأول إلى وقت السخاوي. وهو من آخر مصنفات السخاوي، حيث ذكر فيه تواريХ متعلقة بسنة (٩٠٢هـ)، ورتب هذه الترجمات على حروف المعجم...

(١) المرجع السابق، ص ١٦٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٦٠.

يقول السخاوي: توجهت لبيان أحوال أهل طيبة المشار إليها، والمحصوصة بالمزيد من الفضائل المنبه عليها، وألحقت فيهم من تخلف عن طريقهم، ولم يتعرف على ما أنعم الله به عليه، ولا تبعهم في توفيقهم، بل لم أقتصر على هؤلاء، حيث ذكرت من قطنها من الغرباء ولو سنة، بشرط أن يكون درس فيها أو حدث أو أفتى بالطريقة المرضية والسنة الواضحة الحسنة...

ورجاء أن يكون كتابي بذلك مشتملاً على الخصوص والعموم، وأن يصير كالبدر في التمام والبحر في الطموم، وكذا اتبعت التقى الفاسي الحافظ لما غيره له ناسي، في ذكر جماعة من الأمراء والملوك ممن نص فيهم على إمرة الحرمين، ولو لم يكن له بوحد منها سلوك، لكن بدون استيعاب، لانتشارها في الذكر والخطاب والإطالة بهم لكتاب، بل ذكرت جمعاً ممن وصف بمفتى الحرمين أو قاضيهما أو شيخهما مع ما يطرق به من الاحتمال. وأتيت بما اشتمل عليه هذا الكتاب، على حروف المعجم، تسهيلاً للكشف للاستفادة منه والانتخاب، مراعياً في ذلك الترتيب في الآباء والأجداد، وبقية الأنساب، ثم أردد الأسماء بالكتنى وبالأنساب ونحوها، مما يقرب المراجعة من به اعتنى، وأثبتنا كل هذا، بعد الابتداء بسيرة نبوية مختصرة، نافعة مفيدة معتبرة، ثم أردها بإشارة مختصرة جداً تشتمل على ما اشتمل عليه المسجد الشريف الفائق في الفخر، إحصاءً وعددًا من الحجرة والروضة الشريفتين، والكسوة والسواري والأبواب والمنابر ونحوها مما تيسر الإحاطة به سمائًاً ومشاهدة أو بهما لدفع المشتبه، والتعرض لذرعه، وما زيد من أروقته

ووسعه، إلى غيرها من أحكام حرمته وتعظيم جهاته والتحذير من عدمه، وأماكن مما يزار من المساجد والأبار^(١)، وغير ذلك مما وقع عليه الاختيار، سيما من عرف من أهل البقيع، وما بجوانبه من المدارس والربط والمطاهر وأماكن المرضى، ومن باشره من الأئمة والخطباء والقضاة والناظار والمحاسبين والرؤساء بدون اشتباه، والفراسين والخدم^(٢). وقد استفاد السخاوي من أكثر من أربعين وسبعين مصدراً، واعتمد على النقل في غالب مادة الكتاب، ولكن أغلب مادته - خاصة في الرواية - أخذها من الميزان ولسانه والتهذيب والثقات لابن حبان، والصحابة من الإصابة - وهو الغالب - والاستيعاب.

وهو في التراجم يذكر اسم الرجل ونسبه، وولادته، ونبذة موجزة عن حياته وطلبه وشيوخه وتلاميذه وكلام العلماء فيه. إن كان من الرواة . وقد يتكلم فيه من عند نفسه ، وقد تكلم في كتابه هذا على أكثر من سبعين رجلاً، ثم يذكر الأقوال في وفاة الرجل، وإن كان الرجل من الملوك ونحوهم نبه على بعض أعماله وما شرط^(٣).

فضيل
المدينة
المنورة

ويجمع الإمام السخاوي ما قاله العلماء عن فضل المدينة المنورة فيقول:

(١) مع أن قصد زيارتها تعبداً غير مشروعة إلا ما ثبت دليلاً.

(٢) التحفة الطفيفة في تاريخ المدينة الشريفة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٨/١ - ٢١.

(٣) الحافظ السخاوي وجهوده في الحديث، مرجع سابق، ص ٢٦٣.

((..... وأفضليتها على مكة، وقد ذهب لكل من القولين جماعة^(١)، مع الإجماع على أفضلية البقعة التي ضمته ﷺ، حتى على الكعبة المفضلة على أصل المدينة^(٢)، بل على العرش، فيما صرّح به ابن عقيل من الحنابلة^(٣). ولا شك أن مواضع الأنبياء وأرواحهم أشرف مما سواها من الأرض والسماء، والقبر الشريف أفضلها، لما تتنزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة، التي لا يعلمها إلا مانحها، ولساكنه عند الله من المحبة والاصطفاء ما تقتصر العقول عن إدراكه. ويعم الفيض من ذلك على الأمة، سيما من قصده وأمه، مع العلم بdeath كل أحد في الموضع الذي خلق فيه كما ثبت في مستدرك الحاكم مما له شواهد صحيحة^(٤). و (لا يقبض الله سبحانه روح نبيه إلا في مكان طيب، أحب إلى الله ورسوله)^(٥).

ولما أمر الإمام مالك المهيدي حين قدومه بالسلام على أولاد المهاجرين والأنصار قائلاً له: ما على وجه الأرض قوم خير من أهلها، ولا منها. سأله

(١) ذهب عمر بن الخطاب وبعض الصحابة وأكثر المدینین على تفضیل المدینة وهو مذهب الإمام مالک ورواية أحمد. وذهب عبد الله بن عیاش، وعطا، وهو مذهب الشافعی، وأحمد في رواية إلى تفضیل مكة انظر شرح الشفا (١٦٣/٢)، وسبل الھدی والرشاد (٤٥١/٣).

(٢) نقل الإجماع كل من أبي الوليد الباقي والقاضي عياض وأبي اليمين بن عساكر وأبي محمد البسکري. انظر شرح الشفا (١٦٤/٢)، وسبل الھدی والرشاد (٤٥١/٣) ووفاء الوفا (٢٨/١).

(٣) نقله عن ابن عقيل تاج الدين السبکی، وجزم بذلك أبو عبد الله محمد بن رزین البجیری الشافعی. انظر: سبل الھدی والرشاد (٤٥١/٣)، ووفاء الوفا (٢٨/١).

(٤) (٣٦٦/١) وعنه البیهقی في شعب الإيمان (٤١٤/١٧)، والبزار (٣٩٦/١) تكشف الأستار عن أبي سعيد قال مر رسول الله ﷺ عند قبر فقال قبر من هذا؟ فقالوا فلان الحبشي فقال لا إلا الله مرتين سبق من أرضه وسمائه إلى تربته التي منها خلق. والحديث صححه الحاکم، ووافقه الذہبی، وحسنہ الألبانی في الصحیحۃ (٤٧٣/٤).

(٥) رواه الترمذی (كتاب الجنائز - باب - رقم ١٠٨) وأبو يعلى في مسنده (٤٦/١) واللفظ له من طريق عبد الرحمن بن أبي بکر عن ابن أبي ملکیة عن عائشة عن أبيها، وفي مسنده عبد الرحمن بن أبي بکر المليکی ضعیف كما في التقریب (ص ٥٧١)، والحديث صححه الألبانی في صحیح الترمذی (٢٩٨/١).

عن ذلك ؟ فقال : لأنه لا يعرف قبرنبي اليوم على وجه الأرض غير قبرنبياً محمد ﷺ . ومن كان قبره عندهم فينبغي أن يعرف فضلهم على غيرهم . فامتثل أمره .^(١) ومن الأدلة : قوله ﷺ : " اللهم حب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد "^(٢) . ودعاؤه ﷺ بضعف ما بمكة من البركة ^(٣) .

وأما : " اللهم إنك أخرجتني من أحب البقاء إلى ، فاسكني في أحب البقاء إليك "^(٤) . فضعفه ابن عبد البر .^(٥) باحتمال كونه صدر ابتداء قبل ما تجدد له من فضائلها التي ماعاد على مكة بفتحها ^(٦) . هذا مع العلم بأن محبة الرسول ﷺ تابعة لمحبة الله تعالى ، وما ورد من مضاعفة الصلاة بمسجد مكة زيادة عليها بالمدينة ^(٧) . فأسباب الفضل غير منحصرة فيه ^(٨) ، فيه سينا وكل عمل في المدينة - كما في الإحياء لحجـة الإسلام -

(١) انظر : ترتيب المدارك (١٠٢/١) ، وسبل الهدى والرشاد (٤٤٨/٣) ، ووفاء الوفا (٥٢/١) .

(٢) رواه البخاري (كتاب فضائل المدينة - باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة - ٢٢/٣ - ١٨٨٩ / رقم ٢٣) ، ومسلم (كتاب الحج - باب الترغيب في سكن المدينة - رقم ٤٨٠) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) رواه البخاري (كتاب فضائل المدينة - باب المدينة تفي الخبث - ٢٢/٣ - رقم ١٨٨٥) ، ومسلم (كتاب الحج - باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة - رقم ٤٦٦) من حديث أنس بن مالك .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٣/٢) ، وعنه البهقي في دلائل النبوة (٥١٩/٢) من طريق سعد بن سعيد المقبري عن أخيه عن أبي هريرة ، والحديث قال الذهبي فيه : موضوع وسعد ليس بثقة ، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ٨٩) : " رواه أبو سعد في شرف المصطفى ، وعبد الله بن سعيد ضعيف جداً وهذا الحديث من منكراته " . وقال ابن كثير في السيرة النبوية (٢٨٤/٢) : غريب جداً . انظر : كشف الخفاء (١٨٦/١) ، وتذكرة الموضوعات (ص ٥٩) ، وسلسلة الأحاديث الضعيفة (٦٣٩/٣) .

(٥) الاستذكار (٤٦٤/٢) ، والمقاصد الحسنة للمؤلف (ص ٨٩) .

(٦) انظر وفاء الوفا (٣٤/١) .

(٧) رواه البخاري (كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٢- ٦٠/٦٠ / رقم ١١٩٠) ، ومسلم (كتاب الحج - باب فضل الصلاة بمسجد مكة والمدينة - رقم ٥٠٥) من حديث أبي هريرة بلفظ " صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام " وفي لفظ عند أحمد (٤١٥/٢٣) من حديث جابر " صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه " . صححه المنذري ، والبصيري ، وابن حجر كما في التلخيص الحبير (٤/ ٣٣٠) .

(٨) انظر وفاء الوفا (٧٣/١) .

بألف كالصلة^(١)، بل في المطلب لابن الرفعة: ذهب بعض العلماء إلى أن الصيام بالمدينة أفضل من الصلاة، والصلاحة بمكة أفضل من الصيام، مراعاة لنزول فرضهما.^(٢)

وعلى هذا فيما ظهر: فكل عبادة شرعت بالمدينة أفضل منها بمكة، على غير ذلك من الاتفاق على منع دخول الدجال والطاعون لها، وكان الوارد في منها من مكة أيضاً ليقاومه^(٣)، وعلى: (من صبر على لأوانها وشدةها كثت له شفيعاً أو شهيداً)^(٤)، وإيراد البخاري لحديث: (لا يكيد أهلها أحد إلا اندع كما ينبع الملح في الماء)^(٥)، وفي لفظ مسلم: (لايريد أحد أهلها بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص - أو ذوب الملح - في الماء)^(٦) فصار من المتفق عليه أيضاً.

وماورد في الترغيب في سكناها^(٧)، والموت بها^(٨)، مما لم يثبت في الموت بغيرها مثله. والسكنى بها وصلة له إن شاء الله^(٩).

(١) إحياء علوم الدين (٤٤٤/٣).

(٢) انظر وفاء الوفا (١/٧٧).

(٣) رواه البخاري (كتاب فضائل المدينة - باب لا يدخل الدجال المدينة ٢٢/٣ - رقم ١٨٨٠)، ومسلم (كتاب الحج - باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها ٢٠٠٥/٢ - رقم ٤٨٥) من حديث أبي هريرة رض.

(٤) رواه مسلم (كتاب الحج - باب الترغيب في سكنا المدينة والصبر على لأوانها ٢٠٠٤/٢ - رقم ٤٨١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٥) (كتاب فضائل المدينة - باب إثم من كاد أهل المدينة ٢١/٣ - رقم ١٨٧٧)، من حديث سعد بن أبي وقاص رض.

رض

(٦) (كتاب الحج - باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها ٩٩٢/٢ - رقم ٤٦٠) من حديث سعد بن أبي وقاص رض.

(٧) عن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال: "المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه". رواه مسلم (كتاب الحج - باب فضل المدينة ٩٩٢/٢ - رقم ٤٥٩). من حديث سعد بن أبي وقاص رض.

(٨) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإنني أشفع من يموت فيها"، رواه أحمد (٣١٩/٩)، وغيره. وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح، وحسناته البغوى في شرح السنة (٢٢٤/٧).

(٩) انظر وفاء الوفا (١/٥٠).

وللمجاورة الثابت فيها : قوله ﷺ : (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظنت أنه سيورثه^(١)).

والاستشفاء بترابها^(٢) ، وثمرتها^(٣) ، وما قارب مائة مما لا حصر له فيه.

ولا شك في أن الفضائل الخاصة : لا تحدث في الأمور العامة على تقدير وجودها في الجهتين . وبالجملة : فرأيي الوقف لاسترسال الخوض في عدمه ، لما لا يليق بجلالتهما ، كما علمته من مقامة الزرندي في المفاضلة . وهم اتفاقاً أفضل من سائر البلاد ويليهما بيت المقدس^(٤) .

وما أحسن ما قاله صاحب الشفاء^(٥) - بعد أن حكى عن بعضهم أنه حج ما شياً . فقيل له في ذلك فقال : العبد الآبق يأتي إلى بيت مولاه راكباً !! لو قدرت أن أمشي على رأسي مامشيتك على قدمي - ما نصه : وجدير مواطن عمرت بالوحى والتنزيل ، وتردد بها جبريل وميكائيل ، وعرجت منها الملائكة والروح ، وضجت عرصاتها بالتقديس والتبسيح ، واشتتملت تربتها على جسد سيد البشر ، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ﷺ ما

(١) رواه البخاري (كتاب الأدب - باب الوصاة بالجار ١٠٨ / رقم ٦٠١٤) ، ومسلم (كتاب البر والصلة والأدب - باب الوصية بالجار ٢٠٢٥ / رقم ١٤٠). من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى الإنسان الشيء منه قال بأصابعه هكذا ثم رفعها " بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا ليشفى به سقيننا بإذن ربنا ". رواه البخاري (كتاب الطب - باب رقية النبي ﷺ ١٢٣ / رقم ٥٧٤٥)، ومسلم (كتاب الطب - باب استحباب الرقية من العين ١١٢٤ / رقم ٥٤) واللفظ له وقوله ﷺ : " تربة أرضنا " قال جمهور العلماء المراد بها جملة الأرض ، وقيل : أرض المدينة خاصة ببركتها . انظر شرح صحيح مسلم للنووي (٤ / ١٨٤).

(٣) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : " في عجوة العالية شفاء ". رواه مسلم (كتاب الأشربة - باب باب فضل ثمر المدينة ١٦١٨ / رقم ١٥٦).

(٤) عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجد الأقصى ومسجدي هذا ". رواه البخاري (كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - باب مسجد بيت المقدس ٦١٢ / رقم ١١٩٧) ، ومسلم (كتاب الحج - باب سفر المرأة مع محروم إلى حج وغيره ٢-٩٧٥ / رقم ٤١٥).

(٥) انظر شرح الشفاء (١١٢ / ١٠٤) ، وسبل الهدى والرشاد (١١ / ٤٥٣).

انتشر، مدارس آيات، ومساجد وصلوات، ومشاهد الفضائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين، ومشاعر المسلمين، ومواقيف سيد المرسلين، ومتبواً خاتم النبيين، حيث انفجرت النبوة، وفاض عبابها، ومواطن مهبط الرسالة، وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها؛ أن تعظم عرصفتها^(١)، وتتنسم نفحاتها^(٢)، وتقبل ربوعها^(٣)، وجدرانها^(٤).

**هُدِيَ الْأَنَامُ وَخُصَّ بِالآيَاتِ
وَتَشْوُقُ مُتَوَقِّدُ الْجُمَرَاتِ^(٥)
مِنْ تَلْكُمُ الْجَدَرَاتِ وَالْعَرَصَاتِ^(٦)
مِنْ كَثْرَةِ التَّقْبِيلِ وَالرَّشْفَاتِ^(٧)
أَبْدَا وَلَوْ سَجَباً عَلَى الْوَجَنَاتِ^(٨)
لَقَطَيْنِ تَلَكَ الدَّارِ وَالْحُجَّرَاتِ^(٩)
تَفْشَاءُ بِالْأَصَالِ وَالْبَكَرَاتِ^(١٠)**

**يَا دَارَ خَيْرِ الْمَرْسَلِينَ وَمَنْ بِهِ
عَنْدِي لِأَجْلِكَ لَوْعَةً وَصَبَابَةً
وَعَلَيْهِ عَهْدٌ إِنْ مَلَأْتُ مَحَاجِرِي
لِأَعْفُرْنَ مَصْوَنَ شَيْبِي بَيْنَهَا
لَوْلَا الْعَوَادِي وَالْأَعَادِي زَرَّهَا
لَكِنْ سَأَهْدِي فِي حَفَيلِ تَحِيَّتِي
أَزْكِي مِنَ الْمَسْكِ الْمُفْتَقِ نَفْحَةً**

(١) العرصات جمع عرص وهي كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها فناء. القاموس (٣٠٧/٢) مادة (عرص).

(٢) النفحات جمع نفح وهي الرفعة من الريح وهبوبها. القاموس (٢٥٣/١) مادة (نفح).

(٣) الربوع جمع الربع وهي الدار بعينها حيث كان. القاموس (٢٤/٣) مادة (ربع).

(٤) تقبيل الرباع والجدران والحيطان لا دليل على جوازه في الشرع.

(٥) الصبابة: الشوق أو رقتة أو رقة الهواء. القاموس (٩١/١). مادة (صبابة).

(٦) محاجري: الحجر هي مadar في العين. القاموس (٥/٢). مادة (حَجَر).

(٧) الرشفات : الرشف هو تناول الماء بالشفتين ومصه. القاموس (١٤٤/٣). مادة (رشف).

(٨) العوادي جمع عادية وهي الشغل، الأعادي جمع عدو وهو ضد الصديق. القاموس (٤/١٠). مادة (عدا).

الوجنات: جمع وجنة وهي أعلى الخد . القاموس (٢٧٤/٤). مادة (وَجَنْ).

(٩) حفيل: يقال جمع حفل وحفييل أي كثير. القاموس (٣٥٧/٣). مادة (حَفَلَ).

(١٠) المفتق: أي المشقق ويقال فتق المسك إذا خلط به ما يذكر رائحته. انظر شرح الشفا (١٠٤/٢) والقاموس

(٢٧٣/٣) مادة (فَتَقَ).

وأنشد غيره^(١):

قمرٌ تقطعُ دونَهُ الأوهامُ فظُهورُهُنَّ علىِ الرِّجالِ حرامٌ^(٢) فَلَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَّامٌ^(٣)	رُفعَ الْحِجَابُ لَنَا فَلَاحَ لِنَاظِرٍ وَلَدَا الْمَطَيُّ بَنَا بِلْغَنَّ مُحَمَّداً قَرِينُنَا مِنْ خَيْرٍ مِنْ وَطَئِ الْتَّرَى
---	--

وهاجر ﷺ بأمر ربه عز وجل إليها^(٤)، ونزل بقباء، وأسس المسجد^(٥)، ثم ركب إلى المدينة، ونزل بدار أبي أيوب^(٦) كما قدمت هذا كله في الفصل قبله. وبالجملة: فكل طرق المدينة وجاجها ودورها وما حولها: قد شملته البركة النبوية، فإنهم كانوا يتبركون بدخوله ﷺ منازلهم ويدعونه إليها، وإلى الصلاة في بيوتهم^(٧)، وشهود جنائزهم^(٨)، ولهذا امتنع مالك من ركوب

(١) انظر: شرح الشفا (١٠١/٢)، وسبيل المدى والرشاد (٤٥٢/١١). وهذه الأبيات لأبي نواس الحكمي يمدح بها أمين الدولة.

(٢) قوله: (الرجال) وفي نسخة (الرحال) بالمعنى وهو جمع رحل وهو مركب للبعير. القاموس (٣٨٣/٣). مادة (الرجل).

(٣) ذمام: بذال معجمة، وهي جمع ذمة بالكسر العهد والأمان والكافلة. القاموس (٤/١١٥).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٨٩/٢)، وطبقات ابن سعد (٢٢٧/١)، والروض الأنف (٢/٢)، وعيون الأثر (١٨١/١)، والسيرة لابن كثير (٢٢٢/٢).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٩٨/٢)، والروض الأنف (١١/٢)، وعيون الأثر (١٩٣/١)، والسيرة لابن كثير (٢٠٥ / ٢)، (٢٧١/٢).

(٦) انظر: سيرة ابن هشام (١٠٢/٢)، وطبقات ابن سعد (٢٣٧/١)، الروض الأنف (١٤/٢)، عيون الأثر (١٨٥/١)، والسيرة لابن كثير (٢٧٣/٢)، وفأء الوفا للسمهودي (١/٢٤٤).

(٧) وفيه حديث عتبان بن مالك ﷺ حيث قال: "...إني أحب أن تأتيني فتصلي في منزلي فأتخذه مصلى...". رواه البخاري (كتاب الصلاة -باب المساجد في البيوت -٩٢/١، رقم ٤٢٥)، ومسلم (كتاب الإيمان -باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً -٦١/١، رقم ٥٤).

(٨) وفيه حديث أبي قتادة ﷺ قال: "كان رسول الله ﷺ إذا دعي لجنازة سأله عندها...". (صحيح) رواه أحمد (٥/٢٩٩، رقم ٢٢٥٥٥)، وابن حبان (٥/٢٥٥، رقم ٣٠٤٦)، والحاكم (١/٣٦٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

ركوب دابة فيها، قائلًا "لَا أطأ بحافر دابة في عراض كان يمشي فيها
بقدميه الشريفتين"^(١)، ثم أصحابه الخلفاء الراشدون، والصحابة البررة
الكرام، رضي الله عنهم أجمعين.
ويحرم - كما للأربعة^(٢)، إلا أبا حنيفة^(٣) - صيد حرمها،
واصطياده وقطع شجره. اهـ.

وخدمة لتراث المدينة المنورة، وجمعه وتحقيقه ونشره على طلاب العلم؛
يقوم حالياً مركز بحوث ودراسات المدينة بتحقيق دراسة كتاب (التحفة
اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة) للإمام السخاوي، وذلك بسبب الاضطراب
الموجود في النسخ المطبوعة من غير تحقيق، وعدم وجود التوثيق في الطبعات
السابقة للكتاب، وهي المرة الأولى التي يحقق فيها هذا الكتاب....



(١) ترتيب المدارك وتقرير المسالك (٥٣/٢).

(٢) انظر المنتقى شرح الموطا (٢٥٢/٢)، والمجموع (٤٧١/٧ - ٤٧٤)، والمغني (١٩٠/٥ - ١٩١).

(٣) انظر شرح معاني الآثار (٤/١٩١ - ١٩٦).